

لا يكفي أن نقول: إني أصلي من أجلك

المتروبوليت أناسيوس مطران ليماسول

نقلته إلى العربية اسرة التراث الأرثوذكسي

حديث حول الحزن العالمي والحزن لأجل الله، والتعزية البشرية*

تحدثنا في المرة السابقة عن تجارب بولس الرسول وقلقه بشأن رعيته في كورنثوس، والتي كانت تعاني من مشاكل متنوعة. لذلك فقد أُنْبههم وأرشدهم كأب، مُعلِّماً إياهم محبة المسيح، وكيف يكونون مع المسيح، وكيف يجعلون قلوبهم منزلاً للروح القدس. ويتابع مُبيناً لنا أن الرُّسل القديسين أنفسهم قد تكبدوا مشقَّاتٍ بشرية متنوعة:

" لَأَنَّ لَمَّا أَتَيْنَا إِلَى مَكِدُونِيَّةٍ لَمْ يَكُنْ لِحَسَدِنَا شَيْءٌ مِنَ الرَّاحَةِ بَلْ كُنَّا مُكْتَبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ: مِنْ خَارِجِ حُصُومَاتٍ، مِنْ دَاخِلِ مَخَاوِفٍ. لَكِنَّ اللَّهَ الَّذِي يَعَزِّي الْمُتَضَعِينَ عَزَانًا بِمَجِيءِ تَيْطُسَ. وَلَيْسَ بِمَجِيئِهِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي تَعْرَى بِهَا بِسَبَبِكُمْ، وَهُوَ يُخَبِّرُنَا بِشُوقِكُمْ وَنُوحِكُمْ وَغَيْرَتِكُمْ لِأَجْلِي، حَتَّى إِنِّي فَرِحْتُ أَكْثَرَ. " (٢ كورنثوس ٧:٥-٧).

التعزية البشرية مهمة؛ إنها ضرورية. نحتاج نحن البشر تعزيةً من الناس. على غرار المسيح حين كان على الصليب وأراد أن يشرب؛ لم يوجد شخص واحد يمكن أن يقدم له تعزية بسيطة. علينا أن نتذكر ذلك لهذا السبب. قد تأتي لحظة في حياتنا نحتاج فيها نحن أيضاً إلى بعض التعزية البشرية، أو سيحتاج شخص آخر تعزيتنا. علينا أن ندرك أنه لا يكفي أن نقول: "إني أصلي من أجلك"، بل علينا أن نفتش لنرى كيف يمكننا تعزية هذا الشخص بصورة عملية. يقول بولس الرسول في إحدى رسائله: إذا جاءك أحداً ما وقال إنه يتضور جوعاً، أحقاً ستكتفي بالقول له: "حسناً، اذهب. سأصلي أن يطعمك الله"؟ الصلاة حسنة، بالطبع، ولكن الإنسان لن يكون راضياً بصلاة واحدة، لذلك علينا تعزية الإنسان بشكل عملي. يجب أن نكون مُعزِّين لإخوتنا، وعندما سيعزينا الله نحن أيضاً حين نكون في حاجة. وحتى عندما لا توجد أية تعزية من الناس - مهما بدا ذلك قاسياً، ولكن مواقف كهذه قد تحدث - فإن الله يعزينا حينها بقوته وحضوره.

ذهب أحد الكهنة إلى كاهن آخر لطلب المساعدة، فقال له: "اسمع أيها الأب، إني لا أستطيع مساعدتك، ولكنني سأصلي قانون تضرع ليساعدك الله. إنه أعظم مني وأكثر قدرةً مني على تعزيتك". تلقى الكاهن الذي كان بحاجة مساعدة هذه الكلمات ومشى إلى بيته بصمت. مضت سنتان، ووجد الكاهن الذي أقام خدمة التضرع نفسه في حاجة. ذهب إلى ذاك الكاهن الآخر وطلب مساعدته، فقال له: "الآن سأصلي قانون تضرع من أجلك". قانون التضرع هو أمر حسن بالطبع، ولكن التعزية يجب أن تكون ملموسة. إذا كان إنساناً بحاجة مساعدة، فيجب أن تكون هذه المساعدة محسوسة. لا يكفي أن نصلي وحسب، وهو أمر نراه نحن والله فقط فيما لا

يراه الآخرون. بالطبع، غالبًا ما كان القديسون يفعلون ذلك [أي يصلون]، ولكنهم فعلوا ذلك لأنهم لم يكونوا قادرين على القيام بأي أمرٍ آخر. أما نحن الذين لدينا القدرة لمساعدة الآخرين، فعلينا القيام بذلك عبر الإظهار العملي للمساعدة. لذا، فالله عزى بولس الرسول عبر حضور تيطس.

أذكر أننا كنا ذات مرة في كاتوناكيا نتحدث مع القديس أفرام الكاتوناكي، وقال: "إني متعب. أرغب بالذهاب إلى إسقيط المونوكسيليت لتغيير المزاج قليلاً، لتغيير المنظر - جلُّ ما أراه هنا هو الصخور". ترك ذلك انطباعاً عميقاً لدي حينها. قديسٌ عظيمٌ كهذا، وهدوئي، ونموذج للصلاة الذهنية، يرغب بالذهاب لرؤية شيءٍ آخر. حتى هؤلاء الناس كانت لديهم رغبات بشرية عادية.

كان لي صديق ناسك، ذهب للعيش في صحراء كابسالا، حيث أقام في عزلة تامة. في أحد فصول الشتاء، حين أثلجت كثيراً، بات من الصعب جداً التنقل، ووجد جميع النساك أنفسهم معزولين تماماً عن الآخرين. وقال هذا الناسك: "لو كان لدي على الأقل قطعة صغيرة هنا، لكانت تعزية لي". بعد قليل، سمع مواء خارج الباب. هكذا عزاه الرب. كما نرى، إن الرغبات البشرية العادية ليست غريبةً حتى عن القديسين والشخصيات الكنسية العظيمة. هم أيضاً بحاجة للقليل من التعزية البشرية، حتى إذا ما أتاهم آخرون طلباً للمساعدة، أمكنهم فهمهم ومساعدتهم.

" وَلَيْسَ بِمَجِيئِهِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِالتَّغْزِيَةِ الَّتِي تَعَزِّي بِهَا بِسَبَبِكُمْ، وَهُوَ يُخَبِّرُنَا بِشَوْقِكُمْ وَتَوْجِحِكُمْ وَغَيْرَتِكُمْ لِأَجْلِي، حَتَّى إِنِّي فَرِحْتُ أَكْثَرَ. " (٢ كورنثوس ٧:٧).

يقول بولس الرسول بأنهم تعزوا لا لمجرد أن تيطس قد حضر، بل أيضاً لأنه جلب لهم أخباراً سارة. قال بأن مسيحيي كورنثوس كانوا يبخلون حسناً الآن وبأنهم كانوا قلقين جداً على الرسول. ناحوا وسألوا الله أن يساعده. أخبرهم بولس الرسول بأنه قد سُرَّ لأجل الغيرة التي أظهرها في الصلاة من أجله. بالطبع، لم يكن القديس بولس الرسول بحاجة لهذه الغيرة من الكورنثيين، ولكن المسيحيين أنفسهم كانوا بحاجة إلى ذلك لحفظ الرابط مع أبيهم الروحي. يبتهج أباًؤنا الروحيون حين يرون أننا نحبهم، ليس لأنهم يحتاجون أن نحبهم، بل لأنهم يرون بأننا ننال بعض الفائدة الروحية من ذلك.

" لِأَنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْزَنْتُكُمْ بِالرَّسَالَةِ لَسْتُ أَنْدَمُ، مَعَ أَنِّي نَدِمْتُ. فَإِنِّي أَرَى أَنَّ تِلْكَ الرَّسَالَةَ أَحْزَنْتُكُمْ وَلَوْ إِلَى سَاعَةٍ. " (٢ كورنثوس ٨:٧).

كتب بولس الرسول رسالة إلى الكورنثيين وبخهم فيها، ثم تضايق لأنه وبخهم. من المُحتمل أن هذه الرسالة لم تُحفظ، أو ربما قصد بكلامه رسالة كورنثوس الأولى. يقول الرسول إنه ليس نادماً على إحزانهم، لأنه كان يعاملهم كأب. يمكن للأب أو المعلم أن يُحزَنَ أولاده بتقبيدهم لكيما يُصبحوا تلامذة جيدين أو أبناءً جيدين أو أشخاصاً جيدين في المجتمع. أياً يكن الأمر، فإن أولئك الذين تسببوا بهذا الحزن متضايقون أيضاً.

يقول الرسول بأن رسالته إلى الكورنثيين أحزنتهم إلى حين فقط، وليس إلى الأبد، مثلما يمضي كل شيءٍ مؤقت. يمكن أن نحزَنَ لبعض الوقت، ولكن بعد ذلك نبتهج إلى الأبد. أو يمكننا أن نبتهج لبعض الوقت في خطيئة مؤقتة وعابرة، ومن ثمَّ نتحسر إلى الأبد، إذ انفصلنا عن الله.

"الآن أنا أفرح، لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة." (٢كورنثوس ٧:٩)

هذا هو الحزن الذي يقود إلى الله. في هذا يكمن الفرق بين حزن هذا العالم والحزن الذي يقرب الإنسان من الله ويقوده إلى الحياة الأبدية. الحزن العالمي يقتلنا. يولد هذا الحزن من أنانيتنا، من التساؤل الدائم "لماذا؟"، أما الإنسان المتواضع فيقول: "حسناً، لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء، أنا ضعيف، خاطئ، وعديم القيمة، لا أتوقع أي صلاح من نفسي و فقط أسأل الله المغفرة والتواضع والتوبة". حتى ولو كان هذا الإنسان حزيناً، فسينال تعزية داخلية، بينما يقودنا الحزن العالمي إلى اليأس والقنوط وإلى حالة عصبية. لا فرح في حزن كهذا. سألتنا القديس باييسوس ذات مرة عن الفرق فقال لنا: "يتضمن الحزن العالمي ظلمة، أما الحزن الإلهي ففيه نور داخلي". قد يكون حزناً شديداً، ولكنه سيمتلك نوراً وتعزية فيه، وسيجلب للإنسان سلاماً.

"لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكي لا تتحسروا مئاً في شيء. لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله يُنشئ توبة لخالص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشئ موتاً." (٢كورنثوس ٧:٩-١٠).

تذكروا هذه الكلمات جيداً. الحزن من أجل الله يمنح الإنسان الفرح والتوبة والخالص والعنق والسلام والطمأنينة. ينوح الإنسان ويكتئب ويحزن ويعاني بسبب موقعه وبسبب خطاياها، ولكن لديه سلاماً داخلياً. هذا ما يسميه الآباء بالحزن البهج. البهجة والحزن معاً، فيما حزن العالم ينشئ موتاً. يقتل الحزن العالمي نفس الإنسان، لذلك يمرض الإنسان ويُنهك جهازه العصبي، ويفقد صوابه ويبدأ بالقيام بأمر سيئة. لذلك يجب أن نحذر الحزن العالمي لأنه يقود إلى طريق مسدود ولا يعطي أية تعزية على الإطلاق. كثير من الناس قد تسببوا لأنفسهم بأذى كبير وعانوا كثيراً بسبب هذا الحزن العالمي. لا أعني الناس الذين يعانون من مشاكل طبية، بل أولئك الذين يعانون بسبب أنانيتهم، ولا يقبلون حقيقة كونهم مجرد بشر ويمكن أن يخطئوا. إنه لأمر رائع أن تكون قادراً على القول: "أنا مجرد إنسان وأرتكب الأخطاء، ولكني أتوب عنها وأسأل الله أن يغفر لي".

كيف يمكن للإنسان تجنب هذا الحزن العالمي؟ عليه أن يحيا حياة روحية، أن يتعلم الصلاة، أن يقرأ سير القديسين، أن يعترف بصدق، ويشترك في أسرار الكنيسة، لأن الأسرار تشفي نفس الإنسان وتنقذه من الحزن العالمي وتعطي الحزن لأجل الله، الأمر الذي يقود إلى الخلاص. بهذه الطريقة يجد الإنسان التعزية. حين نعترف، نظهر نفوسنا، وتستقر نعمة الله في قلبنا، وتتعزى نفسنا كلها ووجودنا بأكمله.

يشكل هذا الحزن العالمي مشكلة كبيرة للعالم بأكمله اليوم، لأنه ليس لدى الناس قوة كافية لاحتماله، لذلك يقعون في القنوط ويعانون بشدة. مع ذلك، أظن أن بإمكان الإنسان تغيير هذا الحزن العالمي بشكل تدريجي إلى حزن لأجل الله، وإيجاد السلام في نفسه. أكرر مجدداً أن ذلك لا ينطبق على الحالات الطبية، حين يُشخص أحدهم بالاكتئاب، لأن ذلك مختلف عن هذا الحزن الذي يتحدث عنه بولس الرسول. يستدعي الاكتئاب المرضي منهجية طبية لعلاجها. أما الحزن العالمي الذي يشفيه الروح القدس فهو ضمن الحيز الروحي. يتابع بولس الرسول قائلاً:

" فَإِنَّهُ هُوَذَا حَزُنْتُكُمْ هَذَا عَيْنُهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ، كَمَا أَنْشَأَ فِيكُمْ: مِنْ الْجَهْدِ، بَلْ مِنْ الْاِحْتِجَاجِ، بَلْ مِنَ الْعَيْظِ، بَلْ مِنَ الْخَوْفِ، بَلْ مِنَ الشَّوْقِ، بَلْ مِنَ الْعَيْزَةِ، بَلْ مِنَ الْاِنتِقَامِ. فِي كُلِّ شَيْءٍ أَظْهَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْتُمْ أُبْرِيَاءُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. " (٢كورنثوس ١١:٧).

هنا يقول الرسول بأن الحزن لأجل الله قد جلب للكورنثيين نتائج جيدة؛ فالإنسان الذي يحزن لأجل الله، و لديه غيرة لله، لا يطغى عليه القنوط، ولا يقول: "لن أفعل شيئاً. لا أتوقع أي شيء جيد ولا أريد رؤية أحدا"، بل يقول: "سأفعل شيئاً لأجل الله. سأصلي أكثر. سأعمل أكثر. سأبدي حماسة أكبر في الصلاة والتوبة". هذا يتطلب اندفاعاً، وإذا تصرف الإنسان بهذا الشكل فسيحوز نعمة الله في قلبه. فانظروا إذاً أية حماسة منحكم هذا الحزن الذي يحصل بمشيئة الله، وأية حاجة إلى الأعذار تسبب فيكم، وأي سخط، وأي خوف من العواقب، وأية رغبة في رؤيتي، أية غيرة وأية رغبة في معاقبة الشر. هكذا يخاطب بولس الرسول الكورنثيين. ثم يضيف: "في كل شيء أظهرتم أنفسكم أبرياء في هذا الأمر." (٢كورنثوس ١١:٧). تتعلق هذه الحالة بمحنة مؤمني كورنثوس، والتي كانت مرتبطة بخطايا الجسد، وهي خطيرة جداً، خاصة في تلك الأوقات. ولكن حين حزن الكورنثيون، عندها حازوا غيرة أكبر للصلاح. أرادوا رؤية الرسول، والسعي أكثر والتغير، وقد ساعدتهم غيرتهم.

" إِذَا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ، فَلَيْسَ لِأَجْلِ الْمَذْنِبِ وَلَا لِأَجْلِ الْمَذْنِبِ إِلَيْهِ، بَلْ لِكَيْ يَظْهَرَ لَكُمْ أَمَامَ اللَّهِ اجْتِهَادُنَا لِأَجْلِكُمْ. " (٢كورنثوس ١٢:٧).

يقول بولس الرسول إنه كتب لهم هذه الرسالة وأحزنهم ليس لأنه أراد إحزانهم، بل لأنه أراد أن يريهم المشكلة التي وقعوا فيها، وذلك ليتحولوا إلى الحالة الروحية الصحيحة التي هم فيها الآن، ولتكون لهم مثل هذه الغيرة للصلاح. إذا كانت لدينا حالة ذهنية معينة، ونختبر مشاعر متنوعة، ونرى أن هذه المشاعر تقودنا إلى التوبة والنور والتعزية والتواضع، فهذا يعني بأنها حالة من الله. كما يقول المسيح: "من ثمارهم تعرفونهم" متى ١٦:٧. إذا كانت الشجرة صالحة فثمرها يكون صالحاً، وإذا كانت الشجرة فاسدة فثمرها يكون فاسداً. يمكن تقييم الحالة الداخلية للإنسان من ثماره. لذا فقد كان للكورنثيين ثمار حماسهم في حياتهم الروحية. تبين أن الرسول، من خلال ما فعله، أنهضهم إلى يقظة روحية.

من المهم أن يعرف الأهل والمرشدون الروحيون هذا: حين نقوم بشيء ما بخصوص أولادنا أو أبنائنا الروحيين أو تلاميذنا، يجب دوماً أن نأخذ بعين الاعتبار فيما إذا كان ذلك سيأتي بنتائج جيدة أو سيئة. هل سيساعد ذلك أولادنا ليصبحوا أفضل، أكثر وعياً، أكثر تواضعاً، وأكثر اجتهاداً؟ أم أنه سيؤدي إلى عكس ذلك؟ لا يمكننا قول الكلام الصحيح وحسب، ولكن علينا أيضاً التفكير فيما سيقود إليه هذا الكلام، لأن التمييز، كما سبق وقلنا، هو أعظم الفضائل. يستلزم التمييز أنه حتى عندما نفعل الخير فعلينا فعله بطريقة صحيحة. فننقل أننا نريد أن نبدي ملاحظة لأحد ما لفائدته. إن لم نقلها بلطف، فسينقلب كل شيء إلى شر. لذلك، علينا دائماً وزن النتائج وأن نفهم أن للآخر محدوديته.

" من أجلِ هذا قَدْ تَعَزَّيْنَا بِتَعَزِّيَتِكُمْ. وَلَكِنْ فَرِحْنَا أَكْثَرَ جِدًّا بِسَبَبِ فَرَحِ تَيْطُسَ، لِأَنَّ رُوحَهُ قَدْ اسْتَرَاخَتْ بِكُمْ جَمِيعًا." (٢كورنثوس ٧:١٣).

كما ترون، لا ينكر بولس الرسول أنه احتاج تعزية بشرية. لذا فيجب أن تكون التعزية البشرية هامة أيضاً بالنسبة لنا. إذا حصلنا عليها، فهذا جيد، وإن لم نحصل عليها، فذاك أفضل، إذ حينها سيعزينا الرب. كما قال الشيخ باييسوس، حين لا تكون لدينا تعزية بشرية، فإنها حالة صعبة بالتأكيد، ولكننا نحصل حينها على تعزية الله. عندما لا يكون هناك حضور بشري، يكون هناك حضور الله. لذلك فقد فضل القديسون عدم الحصول على تعزية بشرية، بل أن ينالوا حضور الله في حياتهم. هذا مع ذلك صعبٌ ويتطلب الكثير من الصبر والكذب. كان هناك شيخ روماني يعيش في جبل أثوس. جاء ذات يوم لزيارتنا في دير كوتلوموسيو حيث عشت أنا لعامين كبوابٍ تحت الطاعة. عاش الشيخ في الصحراء وكان دوماً يصل جائعاً. كان قصير القامة ومنحني الظهر ويحمل زوادةً على ظهره، وكان دائم المسير. جاء ذات يوم لرؤيتنا في الدير، فسألته: "أيها الشيخ سيرجي، كيف حالك؟"، قال: "أريد أن أكل". لأمازحه قليلاً قلت: "ليس لدينا أي طعام". فقال لي: "لا تقلق. إذا أكلت، فهذا جيد، وإذا لم أكل، فذاك أفضل". أراد بهذه الطريقة أن يقول لنا: "إذا كان لديك طعام ويمكنك إعطائي إياه لأكل، فستفعلون حسناً، ستقدمون لي تعزية بشرية، وإذا لم يكن لديكم، ولم تعطوني أي شيء لأكل، وبقيت جائعاً فذلك أفضل بكثير، لأن الرب الإله نفسه سيعزيني حينها". مثل هؤلاء الأشخاص كان لديهم رجاء بالله.

كنت في الثامنة عشرة من عمري حين ذهبت إلى تسالونيكي للدراسة. المناخ هناك مختلف تماماً عن قبرص. إنه بارد ورطب. لطالما أحببت الأكل، وفي ذلك المناخ تحديداً أردت أن أكل، وكنت جائعاً دوماً. التقيت هناك أباً روحياً جيداً جداً، ولكنه كان ناسكاً. أقمنا جميعاً في سكن القديسة ثيوزورا معاً. سألته: "أيها الأب، ما الذي سنتناوله على العشاء اليوم؟"، فقال "تناول بعض اللبن". كيف ستكفيني حصة لبن واحدة؟ كنت بحاجة إلى طشت كامل مليء بالطعام. قلت له: "أيها الأب، لن أصمد طويلاً بحصة لبن واحدة"، فقال "حصة لبن واحدة". بعد أسبوعين انفصلت عن هذا الأب الروحي، لأنه لم يتفهم أنني كنت جائعاً طيلة الوقت. بعدها وجدت أباً روحياً آخر، كان أيضاً طبيبياً بالتدريب، وكولونياً، وبالعموم شيخاً مختبراً جداً (ذا خبرة كبيرة). وكلما رأني كان يسأل: "هل أكلت اليوم يا عزيزي؟" وكنت أجيب: "كلا أيها الشيخ، لم أكل شيئاً". فيقول لي " اذهب وكل شيئاً"، ويعطيني بعض المال للكافيتيريا بقرب الكنيسة. أو أحياناً، حين كنا نذهب ومنتظر بالدور للاعتراف عنده، كان يخرج ويعطينا بعض المال ويرسل أحداً ما لجلب الطعام لكي نتنشط فيما كنا ننتظر. لقد تفهمنا. ومع أنه كان ناسكاً، فقد فهم بأننا كنا في الثامنة عشرة من العمر وأردنا أن نأكل. وعلى العكس، فإن ذلك الشيخ الناسك الآخر الذي لم يتفهمنا مضى وحيداً، لأننا جميعاً تركناه. كان يتذمر أحياناً لأننا لم نكن نأتي إليه للاعتراف. ولكن كيف كنا لنذهب إليه إذا لم يكن يفهمنا؟ حين كنا نعيش مع القديس باييسوس في كابسالا لمدة من الزمن، هو أيضاً لم يأكل شيئاً، ولكن بما أنه كان يعرف أنني أحب الأكل، كان يقول لي: " اذهب إلى دير

ستافرونيكيثا ثم عد إلى هنا". كان دير ستافرونيكيثا قريباً من قلايته، مسير نصف ساعة تقريباً. بما أنه هو نفسه لم يملك أي طعام لنا، كان يرسلنا إلى الدير المجاور.

لذلك من الضروري أن نُظهر للآخر أننا نفهمه. إذا أردت تعزية شخص ما، ولكن بدل إظهار تفهّمك لمأزقه بدأت بمحاولة تعليمه، فمن المستبعد أن يتعزى بواسطتك. لقد رأينا كيف تصرف شيوخنا القديسون. حين واجهت أخويتنا بعض الصعوبات، ذهبنا لرؤية الشيخ إيميليانوس (رئيس دير سيمونوبترا حينها)، واستمع إلينا بانتباه شديد، مع أن مشكلتنا لم تكن شديدة الخطورة، كما يبدو لي الآن. ما أثر فينا حينها هو رد فعل الشيخ. لم يقل لشيخنا "أيها الشيخ، صلّ وسيساعدك الله. سيكون كل شيء على ما يرام"، بل بالأحرى قال: "أيها الشيخ، من المؤكد أنكم في وضع صعب للغاية" ورأينا أنه فهمنا حقاً. ثم أخبرنا كيف نحل المشكلة.

ذهبت في أحد الأيام إلى المشفى (هنا في ليماسول)، إلى غرفة الطوارئ، ورأيت هناك رجلاً عجوزاً يئن: "هذا مؤلم. هذا مؤلم". كان هناك طبيب وقال لي: "لا تعره انتباهاً، إنه لا يشكو من شيء". فذهبت إليه وقلت له: "ما الذي يؤلم؟" فقال "أشعر جداً بالسوء". قلت له: "لا تقلق. ذلك سيمضي". فقال "أتقول إنه سيمضي؟ حين تمرض أنت نفسك سترى حينها". أدركت في تلك اللحظة أنه حتى ولو كان ذلك الرجل يخلق معاناته، فإنه كان يعاني على كل حال، ولقد أجابني بشكل صحيح: حين تمرض أنت نفسك لن تتكلم بهذه الطريقة بعد الآن. لذلك يستخدم علماء النفس أيضاً مصطلحاً شائعاً جداً اليوم: التعاطف، وهو ليس سوى ما يقوله آباؤنا القديسون: أحب قريبك كنفسك، أي ضع نفسك مكان الآخر، حيث يصبح ألمه أملك.

البارحة، أتى إلى المطرانية صبي وهو يبكي لأن أحدهم قد سرق دراجته. هذا لا شيء بالنسبة لنا. بالنسبة للصبي، كانت تلك كارثة عظيمة، لأنه خشي الذهاب إلى المنزل والاعتراف لأبيه بأن أحداً ما قد سرق دراجته. بإعطائه دراجة جديدة، ساعدناه وعزيناها. لكن لو قلنا له: "لماذا تبكي بشأن أمرٍ سخيف جداً؟ إنه مجرد غرض. لماذا تفكر بالأشياء المادية؟"، لكان شعر بالإهانة وغادر. كان ليقول أننا لم نفهمه. ولكن القديسين فهموا الناس جيداً جداً ولم يستخفوا بمشاكلهم؛ لم يقولوا "لماذا تخبرني كل هذا الكلام الفارغ؟"، "لا تفكر بالأمر"، وهلم جر، كما نقول نحن عادةً للناس.

هذا ما أردت قوله لكم اليوم.

* حديث إلى مؤمني أبرشية ليماسول في ٢٨ أيلول ٢٠٢٢، حول ٢ كورنثوس ٧:٥-١٣

Source: It's Not Enough Just To Say, "I'm Praying For You": A Word On Worldly Sorrow, Sorrow for God's Sake, and Human Consolation. Metropolitan Athanasios of Limassol. <https://orthochristian.com/148918.html>, <https://orthochristian.com/148919.html>.

